محمد عيشوبة / الصفحات: من 269 إلى: 282
الملتقى الدولي: التعدد المصطلحي في اللسانيات ومشكلات الترجمة-مخبر-اللسانيات التقابلية وخصائص اللغات-جامعة الأغواط-2023/12/16م

المصطلح القرآني، دراسة في إشكالية الخاصية، والتأويل والترجمة

"The Quranic Term: A Study in the Problematic of Property, Interpretation, and Translation."

د. محمد عيشوبة
د. محمد رضا شوشة
جامعة عمار ثليجي-الأغواط(الجزائر)
m.aichouba@lagh-univ.dz

تاريخ الإيداع: 2023/11/10 تاريخ القبول:2023/12/08 تاريخ النشر: 2023/12/20

الملخص:
دراسة المصطلح القرآني، هو دراسة للسان الخطاب، وبيان لمقصود التنزيل، وبحث في علاقة الدال والمدلول، إذ العلاقة بين الألفاظ والمعاني تبحث في جانب البيان عند علماء اللغة وعند الأصوليين، ولذا اهتم المفسرون والمتدبرون لبحث دلالات الألفاظ القرآنية، وبحثوا في مصطلحاته الشرعية واللغوية والعرفية، ومبتكراته من المصطلحات، ليقفوا على مغازيها ومعانيها، فحصّنوا مصطلحات القرآن من حيث الفهم والاستنباط، بما يصلح للنظر فيها من أسس وقواعد، ليحفظوا تلك المصطلحات من هوى المتأولين، وزيغ الضالين، وتحريف الأعجميين من الناقلين له إلى غير لسانه العربي المبين، وهذا هو هدف البحث، الذي يبيّن خصوصية المصطلح القرآني من حيث الاستعمال، ويبيّن مرامي الحمل الصحيح والسقيم، في ظلّ المتغيرات اليوم.

الكلمات المفتاحية: المصطلح القرآني، الخاصية، التأويل، الترجمة، المتغيرات.

Abstract :
The study of Quranic terminology is a study of the language of discourse, an explanation of the intended meaning of the revelation, and an examination of the relationship between the signifier and the signified. The relationship between words and meanings is examined from the perspective of language experts and scholars of Islamic jurisprudence. Therefore, interpreters and scholars have taken an interest in exploring the connotations of Quranic words, investigating their legal, linguistic, and customary terminology, and the innovations in their terminology in order to understand their implications and meanings. They have safeguarded the Quranic terminology by examining it from the perspective of understanding and deduction, which is suitable for analyzing its foundations and rules, in order to preserve those terminologies from the whims of the transgressors, the deviations of the misguided, and the distortions of the non-Arabic language speakers who convey it in a language other than its clear Arabic language. This is the objective of the research, which demonstrates the specificity of Quranic terminology in terms of usage and clarifies the true and false purposes of carrying the terminology, in light of the variables of today.

Keywords The Quranic term- Property, interpretation, translation, variables.

مقدمة:

الحمد لله منزل القرآن، ، أنزله بالحق والميزان، وجعله معجزة الزمان، وأيّده بالحجة والبرهان، ، وأمر فيه بالتدبر والإمعان، ليكون هداية وقواما للإنسان، وأصلي وأسلم على سيد ولد عدنان، رسول الرحمة والأمان، المبين القرآن بأحسن طريقة وأرقى بيان، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم واقتفى أثرهم بإحسان، أمّا بعد:

فإنّ الله أنزل القرآن بلسان عربي مبين، إبانته من بحر ألفاظه، ووابل معانيه، يُبين به المتكلم عن ما في قلبه من المعاني الدقيقة الشريفة، شرف الألفاظ والمعاني، وهذا يدلّ على وسع اللسان العربي، وهو تنويه من القرآن برفعة لغتنا أمام غيرها من اللغات، وإذا كان معهود الأمّيين مأخوذ به في الفهم والخطاب القرآني، فإنّ كتاب الله شرّف ألفاظهم ومصطلحاتهم بالتهذيب، فغيّر الألفاظ إلى الأحسن، والمعاني المقصودة بما يستحسن من حيث السمع، والتذوق، والدلالة، والأثر.

والله متّصف بالحكمة، فإنّه إذ أنزل القرآن في بيئة عربية، فلم يمنع المخاطبين وقتئذ بأن تسلم ألسنتهم للقرآن وتخضع، فلم يكن لهم مجال للاعتراض، ولا حظوة للافتراض، ومن خصائص إعجازه أنّه انفرد بمصطلحات لم يعهدوها من أوجه كثيرة، من حيث الاختيار، والتضمين، والإيجاز، وغيرها، وهذا يمهّد الوصول إلى فكرة رأيتها قمينة بالبحث في أحد محاور الملتقى، الذي ينطلق من واقع تعدد الألسنة اليوم، وإشكالات التخاطب، والترجمة، وقد رأيت أنّ القرآن كلما انفرد بخصائص أعجز فيها معهود الأميين في الخطاب، كانت المعجزة في غيره أبين وأظهر. والمصطلح القرآني من حيث الحمل والاستعمال يرجع فيه إلى تلك البيئة في التنزيل والتلقي، وعليه فالحفاظ على خاصية الانفراد والإعجاز للمصطلح القرآني وما يعتريه اليوم من تأويل، وترجمات تخلّ بمقصود المتكلم، وتخرجه من دائرة التفسير إلى التأويل بمصطلح المتأخرين.

وعليه كانت الإشكالية المعالجة التي تحقق الأهداف المرجوة: ما هو المصطلح القرآني؟ ثم كيف تحفظ خاصيته وما يعتريه اليوم من تأويل وترجمات بدعوى عالمية الخطاب، والتجديد، والقراءة؟

أهداف البحث: تسعى هاته الورقات البحثية إلى تحقيق:

1/ إبراز خصوصية المصطلح القرآني وصلاحيته من حيث مفهومه الحضاري.

2/ أثر نقل المصطلح القرآني من دائرة مقصود التنزيل، إلى دائرة هوى التأويل.

3/ ضبط مجالات التعامل مع المصطلح القرآني، مع دعوى الحداثة من حيث ترجمته، وما تعلق بها .

1/ وسع اللسان العربي من حيث الدلالة المصطلحية: قبل أن نعرض للمصطلح القرآني أردت بيان وسع معهود الأمّيين في الخطاب، من حيث الألفاظ المختارة، والمعاني المقصودة، وأنّهم وضعوا الألفاظ لإبانة المعاني، وسماها ابن جني بالتصاقب، قال:" هذا غور من العربية لا ينتصف منه ولا يكاد يحاط به. وأكثر كلام العرب عليه وإن كان غفلًا

مسـهوًّا عنه، وهو على أضـرب..." لكن من وراء هذا ضـرب غيره، وهو أن تتقارب الحروف لتقارب المعاني، وهذا باب واسع.

من ذلك قول الله سـبحانه: {أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَـلْنَا الشَّـيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا} أي: تزعجهم وتقلقهم، فهذا في معنى تهزّهم هزًّا، والهمزة أخت الهاء، فتقارب اللفظان لتقارب المعنيين. وكأنّهم خصّـوا هذا المعنى بالهمزة، لأنّها أقوى من الهاء، وهذا المعنى أعظم في النفوس من الهزّ؛ لأنّك قد تهز ما لا بال له كالجذع وساق الشجرة، ونحو ذلك[1].

ونرى هـذا في تعـدّد لهجـات العرب، وإن كان على مراتـب، ولكن نجـد تعـدد المصـطلح واردا عنـدهم، وقـد يؤدي لاختلاف التضـاد أو خلاف النوع، وعلّة ذلك الخلاف قد ذكر بعضـها ابن فارس، ثم قال:" وكلّ هَذِهِ اللغات مسـماة منسوبة إِلَى أصحابها، لكن هَذَا موضع اختصار، وهي -وإن كَانَتْ لقوم دون قوم- فإنّها لما انتشرت تَعاوَرَها كلٌّ.

ومن الاختلاف: اختلاف التضـادِّ، وذلك قول حِمْيَر للقائم "ثبْ" أي اقعد... وروي أنّ زيد بن عبد الله بن دارِم وفد عَلَى بعض ملوك حِمْيَر فألْفاه فِي مُتَصَـيَّد لَهُ عَلَى جبل مُشْـرِف، فسـلم عَلَيْهِ وانتسـب له، فقال لَهُ الملك "ثب" أي اجلس، وظنّ الرجل أنّه أمره بالوثوب من الجبل فقال: "لتجدني أَيُّها الملك مِطْواعاً" ثُمَّ وثب من الجبل فهلك، فقال: الملك: مَا شـأنه؟ فخبّروه قصـته وغلّطه فِي الكلمة، فقال: "أما أنّه ليسـت عندنا عربية: من دخل ظَفارِ حَمّر" وظفار المدينة الَّتِي كَانَ بِهَا، وإليها ينسب الجَزْع الظفَّاري. من دَخل ظفار فليتعلم الحميرية"[2].

وإشكالية تعدد المصطلح عند العرب وقبائلها المختلفة راجع للاستعمال، وله أسبابه منه بيئة الخطاب لكلّ قبيلة، ومنها التأثر، ومع هذا كانت قريش لغتها جامعة للمصـطلحات العربية على اختلافها، في أغلبها، ولذا نزل القرن الكريم بلغتها، ووفق مجاري مخاطباتها، في الألفاظ والمعاني، إلاّ ما تفرد به القرآن وهو من خصـائص إعجازه، وكذلك ما شـمله من بعض الألفاظ التي هي من لهجات مختلفة، وقد ناقش ذلك العلماء في علوم القرآن الكريم، تحت عنوان: المعرب والغريب، أو تحت مسـألة، هل في القرآن لغات غير لغة قريش، والعلماء بين أخذ ورد مع الأدلة. ومع ذلك الاختلاف الذي هو موجود ولكن على كثرة الاشـتراك بين العرب في لغاتها، ولا وجود لخلاف كبير كما يروَّج له، وإلّا كان القرآن مثارا لنفس الفكر، ورمية لسـهام الطعن، وكان صـلى وسـلم عليه يقول لعمر وهشـام في قصـة قراءة سـورة الفرقان:" ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "أَقْرَأَنِي جِبْرِيلُ عَلَى حَرْفٍ فَرَاجَعْتُهُ ثُمَّ لَمْ أَزَلْ أَسْتَزِيدُهُ فَيَزِيدُنِي حَتَّى انْتَهَى. إِلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ" زَادَ مُسْلِمٌ قَالَ ابْنُ شِهَابٍ بَلَغَنِي أَنَّ تِلْكَ السَّبْعَةَ إِنَّمَا هِيَ فِي الْأَمْرِ الَّذِي يَكُونُ وَاحِدًا لَا يَخْتَلِفُ فِي حَلَالٍ وَلَا حَرَامٍ

وَأَخْرَجَا أَيْضًـا مِنْ حَدِيثِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ: سَـمِعْتُ هِشَـامَ بْنَ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ يَقْرَأُ سُـورَةَ الْفُرْقَانِ عَلَى غَيْرِ مَا أَقْرَؤُهَا وَفِي رِوَايَةٍ عَلَى حُرُوفٍ كَثِيرَةٍ لَمْ يُقْرِئْنِيهَا رَسُـولُ اللَّهِ صـلى الله عليه وسـلم فَقُلْتُ يَا رَسُـولَ اللَّهِ إِنِّي سَـمِعْتُ هَذَا يَقْرَأُ سُـورَةَ الْفُرْقَانِ عَلَى غَيْرِ مَا أَقْرَأْتَنِيهَا فَقَالَ رَسُـولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَرْسِلْهُ اقْرَأْ فَقَرَأَ الْقِرَاءَةَ الَّتِي سَمِعْتُهُ يَقْرَأُ

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "هَكَذَا أُنْزِلَتْ" ثُمَّ قَالَ لِي اقْرَأْ فَقَرَأْتُ فَقَالَ: "هَكَذَا أُنْزِلَتْ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ"[3].

وإنّني إذ بيّنت هذا، ليعلم أنّ اللسان العربي هو لسان الإبانة المقصودة من القرآن، والألسن الأخرى لا تبين إبانته، فمهما لحق به من التأويل في غير موضعه ومحمله، ومهما نقلناه وحاولنا نقله إلى لغة أخرى، كان تعسفا وتكلفا، من حيث اللفظ، ومن حيث المعنى، وهذا يدركه الأعاجم الذين تمرسوا وارتاضوا على اللسان العربي، فقد ذكر ابن فارس ذلك، قال:" فإن قال قائل: فقد يقع البيانُ بغير اللسان العربي، لأنّ كلَّ مَن أفْهَم بكلامه عَلَى شرط لغته فقد بَيَّن. قيل لَهُ: إن كنتَ تريد أنّ المتكلّم بغير اللغة العربية قَدْ يُعرِبُ عن نفسه حَتَّى يفهم السامع مراده فهذا أخس مراتب البيان، لأنّ الأبكم قَدْ يدلُّ بإشارات وحركات لَهُ عَلَى أكثر مراده ثُمَّ لا يسمّى متكلماً، فضلا عن أن يُسمَّى بَيِّناً أَوْ بليغاً وإن أردت أنَّ سائر اللغات تبيّن إبانة اللغة العربية فهذا غَلط، لأنّا لو احتجنا أن نعبّر عن السيف وأوصافه باللغة الفارسية لما أمكننا ذَلِكَ إِلَاّ باسم واحد، ونحن نذكر للسيف بالعربية صفات كثيرةً"[4].

2/ المصطلح القرآني، التعريف، والأنواع، والخصائص: الجرجاني أورد عدة تعريفات للاصطلاح فقال:" الاصطلاح: عبارةٌ عن اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما ينقل عن موضعه الأول.

الاصطلاح: إخراج اللفظ من معنى لغوي إلى آخر، لمناسبة بينهما.

وقيل: الاصطلاح اتفاق طائفة على وضع اللفظ بإزاء المعنى. وقيل: الاصطلاح إخراج الشيء عن معنى لغوي إلى معنى آخر؛ لبيان المراد. وقيل: الاصطلاح: لفظٌ معين بين قوم معينين"[5].

المصطلح القرآني: المصطلح القرآني يقصد به ما اصطلح عليه القرآن نفسه من ألفاظ، ودلالاتها، سواء بالتخصيص، أو النقل، أو المناسبة.

وقد بيّن ذلك اللغويون والأصوليون وغيرهم فيما اختص به القرآن من حقيقة لغوية أو حقيقة شرعية أو عرفية، أو ما يبحث في الدلالة، من حيث المنطوق والمفهوم، أو الحقيقة والمجاز، والموافقة والمخالفة، والظاهر والنص والمؤول وغيرهم، ومرجعهم للخطاب حال القصد.

فالقرآن قد يحفظ المصطلح من حيث اللغة، وهو مقصوده، واصطلاحه، وهذا هو الغالب، لأنّ القرآن المقصود منه الإفهام، والإفهام هو من جهة لغته، والمصطلحات اللغوية القرآنية لا تفهم إلا من جهة اللغة، ولذلك مسائل نافع الأزرق مع ابن عباس مشهورة، فكان يسأله عن تلك المصطلحات في الاستعمال، وهل لها محامل في الحمل أم لا؟ كقوله:" [عزين]

فقال: يا ابن عباس: أخبرنا عن قول الله عز وجل: "عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمالِ عِزِينَ" [المعارج37]

قال: عزين: الحلق الرفاق .قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت عبيد بن الأبرص ،وهو يقول:

فجاءوا يهرعون إليه حتّى ... يكونوا حول منبره عزينا[6]

وكقوله تعالى:" وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرۡبَةٞ لَّهُمۡۚ [التوبة: 99] ، قال أبو حيان:" قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: صَلَوَاتُ الرَّسُولِ هِيَ اسْتِغْفَارُهُ لَهُمْ. وَقَالَ قَتَادَةُ: أَدْعِيَتُهُ بِالْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ سَمَّاهَا صَلَوَاتٍ جَرْيًا عَلَى الْحَقِيقَةِ اللُّغَوِيَّةِ، أَوْ لِأَنَّ الدُّعَاءَ فِيهَا"[7]، وكقوله تعالى:" وَفَٰكِهَةٗ وَأَبّٗا مَّتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ [عبس: 31-32]، فالأبّ لا يفهم إلا وفق معهود الأمّيين في الخطاب، فهو في بيئتهم. قال الزمخشري:" والأبّ: المرعى، لأنّه يؤبّ أي يؤم وينتجع. والأبّ والأمّ: أخوان. قال:

جذمنا قيس ونجد دارنا ... ولنا الأبّ به والمكرع"[8].

وهذا التفسير نسب لابن عباس كما ذكر ابن عطية[9]، فتفسيره لا يكون إلا من جهة أهله، ومن كانت حياتهم هي حياة للأنعام فهي قوتهم.

والقرآن له مصطلحه الشرعي، الذي نقله أو ابتكره من جهة الشرع، وهذا يسميه الأصوليون بالحقيقة الشرعية، وهي مقدمة، لأنّها مصطلح قرآني وهي ألفاظ أو حقائق لها معان دالة عليها لا يجب أن تفهم إلا من حيث هي شرعية، لأنّها من طريق الوحي، كلفظ الصلاة والزكاة والصوم، فإذا أطلقت لا يفهم منها غير معانيها الشرعية، وإن تضمّنت المعاني اللغوية، فلفظ الصلاة فإنّه يطلق على الدعاء في لغة العرب وقد استعمله القرآن، قال ابن سيده:" أَكثر النّاس فِي شرحها والتّعبير عَنْهَا وَأَنا أورد فِي ذَلِك أحسن مَا سقط إِلَيّ من لفظ الشّيخ أبي عَليّ الْفَارِسِي، قَالَ: الصَّلَاة فِي اللُّغَة الدّعاء، قَالَ الْأَعْشَى فِي الْخمر: وقابَلها الرّيحُ فِي كِنّها وصلّى على دَنّها وارتسمْ فَكَانَ معنى قَوْله عز وجل: (وصلِّ عَلَيْهِم إِن صَلَاتك سَكنٌ لَهُم) . وادع لَهُم فَإِن دعاءك لَهُم تسكن إِلَيْهِ نُفُوسهم"[10].

ولكن القرآن نقلها في التطبيق والعمل على العبادة المخصوصة، وإن تضمنت الدعاء، ما لم تكن قرينة صارفة إلى معناها اللغوي، كالآية السابقة، وكذلك الزكاة، فمعناها ، البركة والتطهير والنماء، قاله الخليل:" زكو: الزَّكَوات: جمع الزّكاة. [والزّكاة] : زكاة المال وهو تطهيره.. زكّى يُزَكّي تزكيةً، والزكاة: الصلاح. تقول: رجل زكيٌّ [تقي] ، ورجال أزكياءُ أتقياء. وزَكَا الزرع يَزْكُو زَكاءً: ازداد ونما، وكل شيء ازداد ونما فهو يزكو زَكاءً. وهذا الأمر لا يَزْكُو، أي: لا يليق، قال «1» :

والمال يَزْكو بك مستكبراً ... يختال قد أشرف للناظر"[11].

لكن القرآن في المعنى الشرعي هو المقصود والمقدّم وهو مصطلحه المعني بالعمل، وإن تضمنت معانيها اللغوية كأثر.

والمصطلح قرآني جامع بين اللغة وزيادة الحكم، والمقصود أنّ بعض المصطلحات القرآنية أبقيت معانيها اللغوية، وزادها القرآن أحكاما شرعية، كلفظ الظهار، والحنث، ففي غريب الحديث:" وَالظِّهَار الَّذِي تحرم بِهِ الْمَرْأَة مَأْخُوذ من الظّهْر، وَذَلِكَ أَن تَقول لَهَا أَنْت عَليّ كَظهر أُمِّي فَكَانَت تطلق فِي الْجَاهِلِيَّة بذلك. وَإِنَّمَا اختصوا الظّهْر دون الْبَطن والفخذ والفرج وَهَذَا أولى بِالتَّحْرِيمِ، لِأَن الظّهْر مَوضِع الرّكُوب وَالْمَرْأَة مركوبة إِذا غشيت، فَكَأَنَّهُ إِذا قَالَ أَنْت عَليّ كَظهر أُمِّي أَرَادَ ركوبك للنِّكَاح حرَام عَليّ كركوب أُمِّي للنِّكَاح"[12]. وهذا مستعمل عند العرب، ولكن الإسلام زاده أحكاما، فكان مصطلحا خاصا بالقرآن جامعا بين المعنى اللغوي والشرعي.

ومصطلح عرفي للقرآن، وهو المعروف بالحقيقة العرفية، كلفظ الغائط، قال الخليل:" كما كُنِّيَ بالغائط، وإنّما أصل الغائط المطمئنّ من الأرض"[13]، فالقرآن من خطاباته الراقية أن ينزه ألفاظه في الاستعمال عمّا يختلج في صدور الناس من مساوئ التفكير، وتلك من أدب القرآن وفرائده. كما كنّى باللمس عن الجماع وغيرها. وهذه مصطلحات عرفية استعملها القرآن في غيرها كناية. وإن كان معروفا عند العرب.

ومصطلح قرآني هو من مبتكرات القرآن خاص لم يعهد له مثيل، وهو من إعجازه المتفرّد به، وهو من عرف القرآن في الخطاب، وهو من إطلاقاته، وقد وقفت في تفسير ابن عاشور على جملة منه نذكر منها، ميراث الكلالة:" وَوَصَفَتِ الْعَرَبُ بِالْكَلَالَةِ الْقَرَابَةَ غَيْرَ الْقُرْبَى، كَأَنَّهُمْ جَعَلُوا وُصُولَهُ لِنَسَبٍ قَرِيبِهِ عَنْ بُعْدٍ، فَأَطْلَقُوا عَلَيْهِ الْكَلَالَةَ عَلَى طَرِيقِ الْكِنَايَةِ وَاسْتَشْهَدُوا لَهُ بِقَوْلِ مَنْ لَمْ يُسَمُّوهُ:

فَإِنَّ أَبَا الْمَرْءِ أَحَمَى لَهُ ... وَمَوْلَى الْكَلَالَةِ لَا يُغْضَبُ

ثُمَّ أَطْلَقُوهُ عَلَى إِرْثِ الْبَعِيدِ، وَأَحْسَبُ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ مُصْطَلَحِ الْقُرْآنِ إِذْ لَمْ أَرَهُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ إِلَّا مَا بَعْدَ نُزُولِ الْآيَةِ. قَالَ الْفَرَزْدَقُ:

وَرِثْتُمْ قَنَاةَ الْمَجْدِ لَا عَنْ كَلَالَةٍ ... عَنِ ابْنَيْ مَنَافٍ عَبْدِ شَمْسٍ وَهَاشِمِ"[14].

ومنها لفظ الشرك، أو الكفر ، فالمراد به الشرك الأكبر في مصطلح القرآن عند الإطلاق، وسنبيّن أثر المصطلحات العرفية القرآنية عند حديثنا على مشكل التأويل، قال ابن عاشور:" وَالْكُفْرُ: الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ كَمَا هُوَ مُصْطَلَحُ الْقُرْآنِ حَيْثُمَا أُطْلِقَ الْكُفْرَ مُجَرَّدًا عَنْ قَرِينَةِ إِرَادَةِ غَيْرِ الْمُشْرِكِينَ. وَقَدِ اشْتَمَلَتْ هَذِهِ الْجُمْلَةُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَوْصَافٍ لِلْمُشْرِكِينَ"[15]. ومنها مصطلح الوحي، وبعض ما في الآخرة كما ذكر ابن عاشور، وأحسب أنّ العرب كانت تعرف هاته المعاني غير أنّ اختصاص القرآن بمصطلح خاص، حيث كانت غير مساوية لما هو معهود عندهم، فأبقى على الشوق النفسي، والحب الذاتي وأبهم أحواله ولم يفصل فيها، فالفردوس هو كما قال الخليل:" فردس: الفِرْدَوْس: جنّة ذات كَرْم. وكَرْمٌ مُفَرْدسٌ، أي: مُعَرَّش[16]، قال العجاج :

وكلاكلاً ومَنْكِباً مفردسا

قَالَ أَبو عَمْرٍو: مُفَرْدَساً أَي مَحْشُوّاً مُكْتَنِزاً. وَيُقَالُ لِلْجُلَّة إِذا حُشِيَتْ: فُردست، وَقَدْ قِيلَ: الفِرْدَوْس تَعرِفُه الْعَرَبُ؛ قَالَ أَبو بَكْرٍ: مِمَّا يَدُلُّ أَن الفِرْدَوس بِالْعَرَبِيَّةِ قَوْلُ حَسَّانَ:

وإِن ثَوابَ اللَّه كلَّ مُوَحِّدٍ ... جِنانٌ مِن الفِرْدَوْس، فِيهَا يُخَلَّدُ[17].

وهذه كثمر الدنيا مع اختلافها عن ثمر الآخرة، فالقرآن كما غيّب عنّا جنات النعيم، أبهم تفاصيلها فكذلك معانيها وما يراد بها هي من عرف القرآن الذي لا اطلاع على حقيقته إلا بدخول الجنة، وعيش حياة الآخرة.

ومن خصائص القرآن في انتقاء مصطلحاته وما يفارق فيه غيره، ولا نقارن بل نثبت دونية غيره بالنسبة له، أنّه يختص بمصطلحاته وفق ما يقتضيه الخطاب، وبيئته، والمخاطبين، لغة وتشريعا وعرفا، فهو المهيمن والمصيطر في فرض مصطلحاته، فهي من عند منزل الكتاب سبحانه وتعالى، فغيره خاضع له، وتحت سلطان إعجازه، وأستحضر كلمة ابن عطية مبيّنا ومنوّها بشدّة انتقاء مصطلحات القرآن:" كتاب الله لو نزعت منه لفظة ثمّ أدير لسان العرب في أن يوجد أحسن منها لم يوجد. ونحن تبين لنا البراعة في أكثره ويخفى علينا وجهها في مواضع لقصورنا عن مرتبة العرب يومئذ في سلامة الذوق وجودة القريحة وميز الكلام"[18].

وبهذا يكون القرآن مصطلحه نابع من مراد المشرع وهو الله، وما يريده من الخطاب للمخاطبين، ولذلك تعدّد وتنوع، فهو بهذا يضيف خاصية ثانية له وهي البعد عن التأثر وبقاء التأثير، وهذه خاصية يُعضّ عليها بالنواجذ، فالمصطلح بمفهوم بيئة اللسانيات، هو قابل للتأثر كما هو قابل للتأثير، ولكن المصطلح القرآن لا يقبل التأثر، ولذلك إعجاز الآية متعدد وسار في خصائص القرآن:" وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ" [النجم: 3-4] .

وإنّني إذ فصّلت في هاته المصطلحات القرآنية، ليعلم أنّ المصطلح القرآني متعدد الاستعمال، في مساقه وسياقه، وهذا يمهد الوصول إلى مشكل التأويل والترجمة للمصطلح القرآني، وتلك عين الخطورة لعدم الإلمام بالمصطلح القرآني.

3/ المصطلح القرآني ومشكل التأويل: ونقصد بالتأويل على عرف المتأخرين، الذي عناه ابن تيمية:" وَأما لفظ التَّأْوِيل إِذا أُرِيد بِهِ صرف اللَّفْظ عَن ظَاهره إِلَى مَا يُخَالف ذَلِك لدَلِيل يقْتَرن بِهِ، فَلم يكن السّلف يُرِيدُونَ بِلَفْظ التَّأْوِيل هَذَا، وَلَا هُوَ معنى التَّأْوِيل فِي كتاب الله عز وجل.

وَلَكِن طَائِفَة من الْمُتَأَخِّرين خصّوا لفظ التَّأْوِيل بِهَذَا بل لفظ التَّأْوِيل فِي كتاب الله يُرَاد بِهِ مَا يؤول إِلَيْهِ الْكَلَام، وَإِن وَافق ظَاهِرَة كَقَوْلِه تَعَالَى {هَل ينظرُونَ إِلَّا تَأْوِيله يَوْم يَأْتِي تَأْوِيله يَقُول الَّذين نسوه من قبل}"[19].

وهذا التأويل قد يؤدي إلى الاختلاف، ويؤول إلى التكفير والتفسيق والتبديع، والخروج، وسببه هو عدم الوقوف مع مصطلح القرآن في الاستعمال، ويضلّ أصحاب تلك الآراء من حيث الحمل، والتاريخ الإسلامي يثبت ذلك ويوثّقه، وقد ناظر علي رضي الله عنه الخوارج، وكانت فهومهم لا تمد بأي صلة إلى مصطلحات القرآن في الاستعمال، فقد ذكر ذلك المؤرخون وأصحاب السير:" وَذَكَرَ ابْنُ جَرِيرٍ أَنَّ هَذَا الْكَلَامَ إِنَّمَا قَالَهُ وَعَلِيٌّ يَخْطُبُ، لَا فِي الصَّلَاةِ. وَذَكَرَ ابْنُ جَرِيرٍ أَيْضًا أَنَّ عَلِيًّا بَيْنَمَا هُوَ يَخْطُبُ يَوْمًا إِذْ قَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الْخَوَارِجِ فَقَالَ: يَا عَلِيُّ أَشْرَكْتَ فِي دِينِ اللَّهِ الرِّجَالَ وَلا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ. فَتُنَادُوا مِنْ كُلِّ جَانِبٍ: لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ، لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ. فَجَعَلَ عَلِيٌّ يَقُولُ: هَذِهِ كَلِمَةُ حَقٍّ أُرِيدَ بِهَا بَاطِلٌ"[20].

وذلك لأنّهم تأوّلوا قول الله تعالى:" إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ يَقُصُّ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰصِلِينَ [الأنعام: 57] .

وابن عباس قسّم التفسير إلى أربعة أقسام:" أَرْبَعَةُ أَوْجُهٍ وَجْهٌ تَعْرِفُهُ الْعَرَبُ مِنْ كَلَامِهَا وَتَفْسِيرٌ لَا يُعْذَرُ أَحَدٌ بِجَهَالَتِهِ وَتَفْسِيرٌ تَعْلَمُهُ الْعُلَمَاءُ وَتَفْسِيرٌ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى"[21].

وقد يقول قائل ما علاقته بمصطلح القرآن؟، نقول، إنّ مشكل التأويل على معنى المتأخرين قد يحمل مصطلح القرآن على غير محمله، وهو عين الضلال، فمن الفرق من تأوّل القرآن من جهة لغته، وهو غير مصطلح القرآن اللغوي ولا مصطلح يتحمله اللسان العربي، ومنهم من تكلّف وتعسف في تأويل الآيات، ولم يكن له حظ دنيوي ولا شرعي لتحصيله، فليس من العلماء، ومنهم من تجرّأ على تأويل ما الأصل فيه التسليم لمنزل الكتاب .

ونذكر الكثير من الآيات التي أساسها أنّ المصطلح القرآني لم يفهم في سياقه، وعلى غير وجهه، سواء بقصد أو بدونه، كلفظ الشرك، والكفر الوارد في القرآن فهو مصطلح يقصد به الكفر الأكبر لا كفر دون كفر، وكثير من الناس حمل المصطلح في غير محمله، ورمى به من المسلمين ما رمى كقوله تعالى:" وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ [المائدة: 44]، قال ابن عطية:" وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولئِكَ هُمُ الْكافِرُونَ فقالت جماعة: المراد اليهود بالكافرين والظالمين والفاسقين، وروي في هذا حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم من طريق البراء بن عازب. وقالت جماعة عظيمة من أهل العلم الآية متناولة كلّ من لم يحكم بما أنزل الله. ولكنّه في أمراء هذه الأمة كفر معصية لا يخرجهم عن الإيمان"[22].

وقال الرازي بعد عرضه لأقوال مختلفة ضعّفها، قال:" الْآيَةُ وَعِيدًا مَخْصُوصًا بِمَنْ خَالَفَ حُكْمَ اللَّه تَعَالَى فِي كُلّ مَا أَنْزَلَ اللَّه تَعَالَى لَمْ يَتَنَاوَلْ هَذَا الْوَعِيدُ الْيَهُودَ بِسَبَبِ مُخَالَفَتِهِمْ حُكْمَ اللَّه فِي الرَّجْمِ، وَأَجْمَعَ الْمُفَسِّرُونَ عَلَى أَنَّ هَذَا الْوَعِيدَ يَتَنَاوَلُ الْيَهُودَ بِسَبَبِ مُخَالَفَتِهِمْ حُكْمَ اللَّه تَعَالَى فِي وَاقِعَةِ الرَّجْمِ، فَيَدُلُّ عَلَى سُقُوطِ هَذَا الْجَوَابِ، وَالْخَامِسُ: قَالَ عِكْرِمَةُ: قَوْلُهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ إِنَّمَا يَتَنَاوَلُ مَنْ أَنْكَرَ بِقَلْبِهِ وَجَحَدَ بِلِسَانِهِ، أَمَّا مَنْ عَرَفَ بِقَلْبِهِ كَوْنَهُ حُكْمَ اللَّه وَأَقَرَّ بِلِسَانِهِ كَوْنَهُ حُكْمَ اللَّه، إِلَّا أَنَّهُ أَتَى بِمَا يُضَادُّهُ فَهُوَ حَاكِمٌ بِمَا أَنْزَلَ اللَّه تَعَالَى، وَلَكِنَّهُ تَارِكٌ لَهُ، فَلَا يَلْزَمُ دُخُولُهُ تَحْتَ هَذِهِ الْآيَةِ، وَهَذَا هُوَ الْجَوَابُ الصَّحِيحُ"[23].

ومثل هؤلاء الذين يتأوّلون مصطلحات القرآن ينطبق عليهم قول ابن تيمية:" والمقصود أنّ مثل هؤلاء اعتقدوا رأيا ثم حملوا ألفاظ القرآن عليه، وليس لهم سلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ولا من أئمة المسلمين لا في رأيهم ولا في تفسيرهم... والمقصود هنا التنبيه على مثار الاختلاف في التفسير، وأنّ من أعظم أسبابه البدع الباطلة التي دعت أهلها إلى أن حرفوا الكلم عن مواضعه، وفسروا كلام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم بغير ما أريد به، وتأولوه على غير تأويله"[24].

وهذا هو الفرق بين التأويل الصحيح الذي له سند ودليل أو قرينة تصرفه عن الظاهر، وهذا لا إشكال فيه، وبين التأويل الذي لا تتحمله اللغة عموما، ولا مصطلح القرآن اللغوي ولا العرفي ولا الشرعي، فلا يكون من التفسير ولا يكون من التأويل، وللمثال قد فرق بين تأويل الباطنية وتأويل الصوفية المسترشدين بالدليل، محقق " البحر المديد لابن عجيبة"، الباحث" أحمد عبد الله القرشي رسلان في مقدمة " التفسير"، قال:" كبير جدا بين مذهب السادة الصوفية الراشدين، في فهم إشارات القرآن، وبين ما يقول الباطنية، فالباطنية ومن والاهم يجعلون المراد من النص ليس لفظه الظاهر بمعناه القريب، ولكنهم يعتقدون أنّ المراد بالذات من النص إنّما هو الإشارة التي ينطوي عليها النص، وبذلك تأوّلوا القرآن، واستخرجوا لأنفسهم أحكاما وعقائد ليست من الإسلام في شيء على الإطلاق"[25].

وتغيير مصطلح القرآن هو تحريف للدليل، يتبعه تحريف للمدلول، وقد يكون أساسه تحريف مثار الدليل الخارجي، الذي يستند عليه هؤلاء، كاستنادهم لقول ابن مسعود:" من أراد العلم فليثوّر القرآن"[26]. وفي المعجم الكبير للطبراني:" عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: «مَنْ أَرَادَ خَيْرَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فَلْيُثَوِّرِ الْقُرْآنَ، فَإِنَّ فِيهِ خَيْرُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ»[27]. وتثوير القرآن لا ينفك عن أسس وأصول فهم القرآن ظاهرا وباطنا.

ومنهم مدرسة الحداثة اليوم الذين جعلوا القرآن تبعا لأهوائهم، بدعوى التجديد، ومواكبة الواقع وتحولاته، ونحن لا نحدث قطيعة مع الواقع، ولا الشرع نفسه، فإنّما الشريعة جعلوا لها قاعدة الاستمرار والاستقرار، أي بين الثوابت والمتغيرات، ولها أهلها الذين يفكوّن نوازل الواقع، ويستخرجون الأسرار دون هتك الأستار، أستار الفهم الضال، والحداثيون تأولوا الكثير من مصطلحات القرآن، فخرجوا عما اقتضته الفطرة، والتفكير السليم، والشرع الحكيم، كقوله تعالى:" ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ [المائدة: 90]. فقالوا الاجتناب والقطع بمعنى آخر، فالاجتناب لا يدل على وجوب الترك، والقطع يراد منه المنع لا القطع الحسي[28].

وهكذا بقية المصطلحات اللغوية والشرعية والعرفية، كالقربان، " لا تقربوا"، والخمار" وليضربن بخمرهن"، وغيرها، وتلك آفة تغيير المصطلح بقصد أو بجهل مركب.

4/ المصطلح القرآني ومشكل الترجمة وما يواجه المصطلح القرآني اليوم من إشكال أحقّ بأن يبحث فيه من جهاته المتعددة، كمصطلح القرآن في باب العقيدة، ومصطلح القرآن في باب الشريعة، أو مصطلحه في باب الإسلام

وباب الإيمان وباب الإحسان، هو ما ذكرناه سابقا من التأويل، وما يعرض له كذلك من باب الترجمة، فالمصطلح القرآني له بيئته الخاصة به في النزول والتنزيل، والقراءة والفهم، هي عربية النزول، وعربية الفهم، وعربية التشريع، ولا يفهم قصرها على العرب فقط، بل رسالة الإسلام عالمية، ورسالة الخطاب عالمية، ولكن الحفاظ على تلك الخصوصية أمر ضروري. وقد قدمت سابقا بأنّ اللسان العربي واسع الاستعمال، لأمهّد الوصول إلى فكرة وسع المصطلح القرآني فقد يجمع بين اللغة والعرف، واللغة وحدها، واللغة والشرع، والألسنة الأخرى لا بد أن تراعي خصائصه، إن قدرت ولا أراها تقدر .

ولذلك ألّف علماؤنا في الوجوه والنظائر، وفي الغريب، والمجاز، ونذكر مثالا عن ذلك، كمصطلح الأمة وسياقاته الاستعمالية القرآنية، فقد ذكر الراغب الأصفهاني معانيه المختلفة :" والأُمّة: كل جماعة يجمعهم أمر ما إمّا دين واحد، أو زمان واحد، أو مكان واحد سواء كان ذلك الأمر الجامع تسخيرا أو اختيارا، وجمعها:

أمم، وقوله تعالى: "وَما مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلا طائِرٍ يَطِيرُ بِجَناحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثالُكُمْ "[الأنعام/ 38] أي: كلّ نوع منها على طريقة قد سخرها الله عليها بالطبع... وقوله تعالى: كانَ النَّاسُ أُمَّةً واحِدَةً [البقرة/ 213] أي: صنفا واحدا وعلى طريقة واحدة في الضلال والكفر..."[29].

ولذلك نقل المصطلحات من القرآن إلى لغة أخرى يخلّ بمضمون الإعجاز، وإعجازه من جهة لفظه، ومن جهة دلالته، وهما متلازمان، ولا أقصد جميع القرآن بل مصطلحاته المتعددة المتضمنة الخصوصية والإعجاز، وينبني على عالمية الرسالة:" وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ [سبأ: 28] ، وقوله:" وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ [الأنبياء: 107]، عالمية الخطاب، أي: عالمية المصطلح، وعالميته من حيث المفهوم فهما وتطبيقا، والترجمة لا يشترط فيها أن تكون عالمية، أي: من خصائص القرآن أن يقبل اللغات الأخرى، وقد بينت سابقا عجز الألسنة الأخرى أمام اللسان العربي، ويزداد عجزها أمام القرآن في ترجمته، ترجمة حرفية أو تفسيرية، لأنّ خاصية الإعجاز هي ضمن لغته، ولا وجه لفهمه إلا من جهة لغته، ووفق مصطلحاته.

ووجوه الإعجاز فيه عدّها ابن عاشور من جهات ثلاث وهي:" الجهة الأولى: بُلُوغُهُ الْغَايَةَ الْقُصْوَى مِمَّا يُمْكِنُ أَنْ يَبْلُغَهُ الْكَلَامُ الْعَرَبِيُّ الْبَلِيغُ مِنْ حُصُولِ كَيْفِيَّاتٍ فِي نَظْمِهِ مُفِيدَةٍ مَعَانِيَ دَقِيقَةً وَنُكَتًا مِنْ أَغْرَاضِ الْخَاصَّةِ مِنْ بُلَغَاءِ الْعَرَبِ مِمَّا لَا يُفِيدُهُ أَصْلُ وَضْعِ اللُّغَةِ...الجهة الثانية: مَا أَبْدَعَهُ الْقُرْآنُ مِنْ أَفَانِينِ التَّصَرُّفِ فِي نَظْمِ الْكَلَامِ مِمَّا لَمْ يَكُنْ مَعْهُودًا فِي أَسَالِيبِ الْعَرَبِ، وَلكنه غير خارج عَمَّا تَسْمَحُ بِهِ اللُّغَةُ.والجهة الثالثة: مَا أُودِعَ فِيهِ مِنَ الْمَعَانِي الْحِكَمِيَّةِ وَالْإِشَارَاتِ إِلَى الْحَقَائِقِ الْعَقْلِيَّةِ وَالْعِلْمِيَّةِ مِمَّا لَمْ تَبْلُغْ إِلَيْهِ عُقُولُ الْبَشَرِ فِي عَصْرِ نُزُولِ الْقُرْآنِ وَفِي عُصُورٍ بَعْدَهُ مُتَفَاوِتَةٍ"[30].

والترجمة لن تصل لجهة الإعجاز الأولى، فهي بلاغة البلاغة، وخاصة الخاصة، ولن تكون من الجهة الثانية فهي من إبداعات القرآن، فما لم تتحمله قرائح هؤلاء مع فطرتهم على القريحة والذكاء في التعبير والإنشاء ومع ذلك أعجزهم القرآن، فغيرهم أولى بأن يعجزهم مع قصور لغتهم، أما جهته الثالثة، فهي عين صلاح القرآن للمخاطبين في الأعصر

المتعاقبة اليوم، مع بعد الشقة بيننا وبين لغتنا الأم، ويمكن أن تتناوله الترجمة والتفصيل مع بقاء صبغة الإعجاز اللغوي فيها، قال ابن عاشور:" وَالْقُرْآنُ مُعْجِزٌ مِنِ الْجِهَةِ الثَّالِثَةِ لِلْبَشَرِ قَاطِبَةً إِعْجَازًا مُسْتَمِرًّا عَلَى مَمَرِّ الْعُصُورِ، وَهَذَا مِنْ جُمْلَةِ مَا شَمِلَهُ قَوْلُ أَئِمَّةِ الدِّينِ: إِنَّ الْقُرْآنَ هُوَ الْمُعْجِزَةُ الْمُسْتَمِرَّةُ عَلَى تَعَاقُبِ السِّنِينَ، لِأَنَّهُ قَدْ يُدْرِكُ إِعْجَازَهُ الْعُقَلَاءُ مِنْ غَيْرِ الْأُمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ بِوَاسِطَةِ تَرْجَمَةِ مَعَانِيهِ التَّشْرِيعِيَّةِ وَالْحِكَمِيَّةِ وَالْعِلْمِيَّةِ وَالْأَخْلَاقِيَّةِ، وَهُوَ دَلِيلٌ تَفْصِيلِيٌّ لِأَهْلِ تِلْكَ الْمَعَانِي وَإِجْمَالِيٌّ لِمَنْ تَبْلُغُهُ شَهَادَتُهُمْ بِذَلِكَ"[31].

ولذا المصطلح القرآني له من الخصائص ما يجعل ترجمته من طرف المترجم أن يكون حذرا، ولا يمكن ذلك إلا عن طريق العمل الجماعي من المتخصصين، من أهل الشريعة، وأهل التخصص من المترجمين، وهذا العمل لا يكون إلا عن طريق التجرد من الهوى، الهوى النفسي والمذهبي المقيت، وأقصد أن يتجرد المتعامل هو نفسه، لا القرآن، فالقرآن له بيئته الخاصة، من السياق، والأهداف، والمقاصد القرآنية.

5/ المصطلح القرآني ودوره في صناعة الوعي الحضاري: وختمت بهذا العنصر البحثي لنزيل الشك باليقين، وإبعاد الوساوس التي يلقيها أعداء الإسلام من الحداثين، أو المتأويلين، الذين يريدون أن يجعلوا من القرآن مرتعا لأهوائهم، فكلما وجدوا مدخلا جعلوا منه تحقيق الغاية، ورفع الراية، فجعل المصطلح القرآني محفوظا ببيئة الوحي والتنزيل، وصبغه بصبغة القدسية لأنّ مصدره من عند الله، فهو يعني عصمة كتابه عن الخطأ، وهذا لا يغيب على عقول المتدبرين في مصطلحاته، فهو من أسمائه تعالى الحكيم، والحكمة وضع الشيء في موضعه، فما وصفه به أصحاب الأهواء اليوم من العلمانيين والحداثيين، بالجمود وعدم قابلية الانفتاح والتطور، لهو سوء أدب مع كتاب الله الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولذلك القرآن خطابه عالمي، فهو يجمع ولا يفرق، لأنّ قاعدة صلاحه لكل زمان تحتّم علينا القول بأنّ البناء الحضاري بين دفتيه، حضارة الفكر، حضارة القيم، حضارة الانتماء للأمة، وهذه كلّها في مصطلحاته التي لها دلالة مستغرقة للزمان، متجاوزة لحدود العرب من حيث المكان.

وقد يقول قائل ما علاقة المصطلح القرآني بالوعي الحضاري؟ فنقول: من تأمل في مصطلحات القرآن، لغة وعرفا، وشرعا، وتفردا ممّا زاده القرآن، وجد ذلك عين الحضارة، ولا مجال لقبول أفكار التسويد، بأنّ القرآن مصطلحاته جامدة، بل الجمود يكمن في عقولهم. ولا يمكن أن تكون الحضارة هي حضارة البنيان، هذا ليس مقصودا، بل حضارة العمران، حضارة البناء الفكري، ولذا تأويله غير التأول الصحيح، وإخراجه عن مراد مصطلحاته، هدم البناء الحضاري في كثير من الدول العربية، وترجمته كذلك، لا بد من أن تراعي عالميته الحضارية، فمصطلح العفة، إذا ترجمناه، لا يمكن أن يكون عفة الفروج فقط، بل هو أشمل، ولا يمكن أن تعكس، أن تذكر غيرها من المعاني مبتورة عن أصل العفة . فهي من الحضارة، وهي من القيم العليا.

الخاتمة:

أولا: المحافظة على خاصية المصطلح القرآني يوجب النظر في مقاصد التنزيل.

ثانيا: الانفتاح على الحضـــارة ومواكبة الواقع لا يعني بالضـــرورة حمل المصـــطلح القرآني على محامل تخرجه من التفســير إلى التأويل دون دليل ولا قرينة، أو تدعوا إلى التحرر من المصــطلحات القرآنية ومعانيها الشــرعية واللغوية والعرفية تحت وصف الجمود .

ثالثا: الوقوف مع مصطلح القراءة الادبي وتطبيقه على النص القرآني يخرج النصوص القرآنية من سياق القدسية والإعجاز إلى سياق الهوى والطعن والفهم السقيم لغير المتخصصين في دراسة المصطلح القرآني من أهل التخصص الشرعي.

رابعا: الخوض في ترجمة المصـــطلحات القرآنية دون العمل الجماعي للمتخصـــصـــين من الطرفين، يؤدي إلى حمل المصطلح القرآني على غير محمله الذي سيق له وفيه ومن أجله.

المصادروالمرجع:

أولا: القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم
ثانيا: الطبراني- المعجم الكبير- تح: حمدي بن عبد المجيد السلفي- مكتبة ابن تيمية – القاهرة- ط2- دت
ثالثا: الخليل بن أحمد- العين- تح: مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي- دار ومكتبة الهلال- دط- دت.
رابعا: ابن قتيبة الدينوري- غريب الحديث-تح: عبد الله الجبوري- مطبعة العاني – بغداد- ط1-1397
خامسا: ابن فارس- الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها- تح: محمد علي بيضون- ط1-1418- 1997- دت
سادسا: ابن جني- الخصائص- الهيئة المصرية العامة للكتاب- دت-
سابعا: الزمخشري- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل- ضبطه: مصطفى حسين أحمد- دار الريان للتراث بالقاهرة - دار الكتاب العربي ببيروت- ط3- 1407- 1987-
ثامنا: ابن سيده- المخصص- تح: خليل إبراهم جفال- دار إحياء التراث العربي – بيروت- ط1-1417- 1996
تاسعا: الراغب الإصفهاني- المفردات في غريب القرآن- تح: صفوان عدنان الداودي- دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت- ط1-1412
عاشرا: ابن عطية- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز- تح: عبد السلام عبد الشافي محمد- دار الكتب العلمية – بيروت- ط1- 1422-
الحادي عشر: الرازي- مفاتيح الغيب- دار إحياء التراث العربي – بيروت- ط3- 1420.
الثاني عشرا: الجرجاني- التعريفات- تح: جماعة من العلماء- دار الكتب العلمية بيروت –لبنان- ط1- 1403- 1983

الثالث عشر: أبو حيان- البحر المحيط في التفسير- تح: صدقي محمد جميل- دار الفكر – بيروت- دط- 1420

الرابع عشر: ابن منظور- لسان العرب- دار صادر – بيروت- ط3-1414-

الخامس عشر: ابن تيمية- دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية- تح: محمد السيد الجليند- مؤسسة علوم القرآن – دمشق- ط2-1404-

السادس عشر ابن تيمية- مقدمة في أصول التفسير- دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان- دط-1490- 1980

السابع عشر: ابن كثير- البداية والنهاية- عبد الله بن عبد المحسن التركي- دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان- ط1- 1418- 1997

الثامن عشر: الزركشي- البرهان في علوم القرآن- تح: محمد أبو الفضل إبراهيم- ط1- 1376- 1957-

التاسع عشر: السيوطي- الإتقان في علوم القرآن- تح: محمد أبو الفضل إبراهيم- الهيئة المصرية العامة للكتاب- دط- 1974-1394

العشرون: ابن عجيبة- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد- أحمد عبد الله القرشي رسلان- حسن عباس زكي – القاهرة- دط-1419

الحادي والعشرون: ابن عاشور- التحرير والتنوير- الدار التونسية للنشر – تونس- دط-1984-

الثاني والعشرون: مولد السريري- تجديد علم أصول الفقه- دار الكتب العلمية- علي بيضون- بيروت- لبنان- ط1- 2005- 1426.

هوامش البحث:

[1] ابن جني- الخصائص- الهيئة المصرية العامة للكتاب- ط4- دت- ج2- ص:147

[2] ابن فارس- الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها- تح: محمد علي بيضون- ط1- 1418- 1997- دت- ص:28

[3] الزركشي- البرهان في علوم القرآن- تح: محمد أبو الفضل إبراهيم- ط1- 1376- 1957- ج1- ص:211

[4] ابن فارس- الصاحبي- ص:19

[5] الجرجاني- التعريفات- تح: جماعة من العلماء- دار الكتب العلمية بيروت –لبنان- ط1- 1403- 1983- ص:28

[6] غريب القرآن في شعر العرب ((مسائل نافع بن الأزرق لعبد الله بن عباس - رضي الله عنه وعن أبيه))- دط-دت- ص:28

[7] أبو حيان- البحر المحيط في التفسير- تح: صدقي محمد جميل- دار الفكر – بيروت- دط- 1420- ج5- 493

[8] الزمخشري- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل- ضبطه: مصطفى حسين أحمد- دار الريان للتراث بالقاهرة - دار الكتاب العربي ببيروت- ط3- 1407- 1987- ج4- ص:704

[9] ابن عطية- المحرر الوجيز- - تح: عبد السلام عبد الشافي محمد- دار الكتب العلمية – بيروت- ط1- 1422- ج5- ص:439

[10] ابن سيده- المخصص- تح: خليل إبراهم جفال- دار إحياء التراث العربي – بيروت- ط1-1417- 1996- ج4- ص:55

[11] الخليل بن أحمد- العين- تح: مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي- دار ومكتبة الهلال- دط- دت- ج5- ص:394- باب الكاف والزاي.

[12] ابن قتيبة الدينوري- غريب الحديث-تح: عبد الله الجبوري- مطبعة العاني – بغداد- ط1-1397- ج1- ص:209

[13] الخليل بن أحمد الفراهيدي- العين- ج2- ص:96- باب العين والذال والراء.

[14] ابن عاشور- التحرير والتنوير- الدار التونسية للنشر – تونس- دط-1984- ج4- ص:264

[15] المصدر نفسه- ج26- ص:73

[16] الخليل بن أحمد- العين- ج7- ص:339

[17] ابن منظور- لسان العرب- دار صادر – بيروت- ط3-1414- ج6- ص:164- فصل الفاء

[18] ابن عطية- المحرر الوجيز- ج1- ص:52

[19] ابن تيمية- دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية- تح: محمد السيد الجليند- مؤسسة علوم القرآن – دمشق- ط2-1404- ج1- ص:330

[20] ابن كثير- البداية والنهاية- عبد الله بن عبد المحسن التركي- دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان- ط1- 1418- 1997- ج10- ص:570

[21] السيوطي- الإتقان في علوم القرآن- تح: محمد أبو الفضل إبراهيم- الهيئة المصرية العامة للكتاب- دط-1394-1974- ج4- ص:216

[22] ابن عطية- المحرر الوجيز- ج2- ص:196

[23] الرازي- مفاتيح الغيب-- دار إحياء التراث العربي – بيروت- ط3- 1420- ج12- ص:362

[24] ابن تيمية- مقدمة في أصول التفسير- دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان- دط-1490- 1980- ص:38

[25] ابن عجيبة- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد- أحمد عبد الله القرشي رسلان- حسن عباس زكي – القاهرة- دط-1419- ج1- ص:36- مقدمة المحقق

[26] ابن عطية- المحرر الوجيز- ج1- ص:03

[27] الطبراني- المعجم الكبير- تح: حمدي بن عبد المجيد السلفي- مكتبة ابن تيمية – القاهرة- ط2- دت- ج9- صك135- رقم: 8664

[28] ينظر: مولد السريري- تجديد علم أصول الفقه- دار الكتب العلمية- علي بيضون- بيروت- لبنان- ط1-2005- 1426- ص:82

[29] الراغب الإصفهاني- المفردات في غريب القرآن- تح: صفوان عدنان الداودي- دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت- ط1-1412- ص:86

[30] ابن عاشور- التحرير والتنوير- ج1- ص:104

[31] المصدر نفسه- ج1- ص:105